تفسير سورة الإنسان

قال الجمهور : هى مدنية ، وقال مقاتل والكلبى : هى مكية . وأخرج النحاس عن ابن عباس أنها نزلت بمكة. وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله . وقيل : فيها مكى ، من قوله : ﴿ **إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا**﴾ إلى آخر السورة ، وما قبله مدنىّ . وأخرج الطبرانى ، وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عمر قال : جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « سل واستفهم » ، فقال : يارسول الله ، فضلتم علينا بالألوان والصور والنبوَّة ، أفرأيت إن آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به ، أنى كائن معك فى الجنة ، قال : « نعم ، والذى نفسى بيده إنه ليرى بياض الأسود فى الجنة من مسيرة ألف عام » ، ثم قال : «من قال : لا إله إلا الله كان له عند الله عهد . ومن قال : سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة » ، ونزلت هذه السورة : ﴿ **هل أتى على الإنسان حين من الدهر** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وملكا كبيرا** ﴾ فقال الحبشىّ : وإن عينى لترى ما ترى عيناك فى الجنة، قال : نعم ، فاشتكى حتى فاضت نفسه. قال ابن عمر : فلقد رأيت رسول الله ﷺ يدليه فى حفرته بيده [(١)] . وأخرج أحمد فى الزهد عن محمد بن مطرف قال : حدثنى الثقة أن رجلا أسود كان يسأل رسول الله ﷺ عن التسبيح والتهليل ، فقال له عمر بن الخطاب : أكثرت على رسول الله ، فقال : « مه ياعمر » ، وأنزلت على النبى ﷺ : ﴿ **هل أتى على الإنسان حين من الدهر** ﴾ حتى إذا أتى على ذكر الجنة زفر الأسود زفرة خرجت نفسه ، فقال النبى ﷺ : « مات شوقا إلى الجنة ». وأخرج نحوه ابن وهب عن ابن زيد مرفوعا مرسلا .

وأخرج أحمد ، والترمذى وحسنه ، وابن ماجة وابن منيع ، وأبو الشيخ فى العظمة ، والحاكم وصححه ، والضياء عن أبى ذرّ قال : قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ **هل أتى على الإنسان**﴾ حتى ختمها ، ثم قال : « إنى أرى ما لا ترون وأسمع مالا تسمعون ، أطت السماء وحقّ لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عزّ وجل »[(٢)] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا**

(١) الطبرانى (١٣٥٩٥) وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٤٢٣ : « فيه أيوب بن عتبة وهو ضعيف » .
(٢) أحمد ٥/ ١٧٣ والترمذى فى الزهد (٢٣١٢) وقال : « هذا حديث حسن غريب » وابن ماجة فى الزهد (٤١٩٠) وصححه الحاكم ٤/ ٥٤٤ ووافقه الذهبى .

كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) ﴾

حكى الواحدى عن المفسرين وأهل المعانى أن ﴿ **هل** ﴾ هنا بمعنى قد ، وليس باستفهام ، وقد قال بهذا سيبويه والكسائى ، والفراء وأبو عبيدة . قال الفرّاء : هل تكون جحدا وتكون خبرا فهذا من الخبر لأنك تقول : هل أعطيتك ، تقرره بأنك أعطيته ، والجحد أن تقول : هل يقدر أحد على مثل هذا . وقيل : هى وإن كانت بمعنى قد ؛ ففيها معنى الاستفهام ، والأصل : أهل أتى ، فالمعنى : أقد أتى ، والاستفهام للتقرير والتقريب ، والمراد بالإنسان هنا : هو آدم ، قاله قتادة والثورى وعكرمة والسدّى وغيرهم ﴿ **حين من الدهر** ﴾ قيل : أربعون سنة قبل أن ينفخ فيه الروح . وقيل : إنه خلق من طين أربعين سنة ، ثم من حمأ مسنون أربعين سنة ، ثم من صلصال أربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة . وقيل: الحين المذكور هنا لا يعرف مقداره. وقيل : المراد بالإنسان: بنو آدم ، والحين : مدّة الحمل ، وجملة : ﴿ **لم يكن شيئا مذكورا** ﴾ فى محل نصب على الحال من الإنسان ، أو فى محل رفع صفة لحين ، قال الفرّاء وقطرب وثعلب : المعنى: أنه كان جسدا مصوّرا ترابا وطينا لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به ، ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا . وقال يحيى بن سلام : لم يكن شيئا مذكورا فى الخلق وإن كان عند الله شيئا مذكورا . وقيل : ليس المراد بالذكر هنا : الإخبار ، فإن إخبار الرّب عن الكائنات قديم ، بل هو الذكر بمعنى الخطر والشرف ، كما فى قوله : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾ [الزخرف : ٤٤] قال القشيرى : ما كان مذكورا للخلق وإن كان مذكورا لله سبحانه . قال الفراء : كان شيئا ولم يكن مذكورا . فجعل النفى متوجها إلى القيد . وقيل : المعنى : قد مضت أزمنة وما كان آدم شيئا ولا مخلوقا ولا مذكورا لأحد من الخليقة . وقال مقاتل : فى الكلام تقديم وتأخير وتقديره : هل أتى حين من الدهر لم يكن **شيئا** مذكورا ، لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعده حيوان .

﴿ **إنا خلقنا الإنسان من نطفة** ﴾ المراد بالإنسان هنا : ابن آدم . قال القرطبى . من غير خلاف ، والنطفة : الماء الذى يقطر ، وهو المنىّ وكل ماء قليل فى وعاء فهو نطفة ، وجمعها نطف ، و ﴿ **أمشاج** ﴾ صفة لنطفة ، وهى جمع مشج ، أومشيج ، وهى الأخلاط ، والمراد : نطفة الرجل ونطفة المرأة واختلاطهما . يقال : مشج هذا بهذا فهو ممشوج ، أى خلط هذا بهذا فهو مخلوط . قال المبرد : مشج يمشج : إذا اختلط ، وهو هنا اختلاط النطفة بالدم ، قال رؤبة ابن العجاج :

يطرحن كل معجل مشاج لم يكس جلدا من دم أمشاج

قال الفراء : أمشاج : اختلاط ماء الرجل وماء المرأة ، والدم والعلقة ، ويقال : مشج هذا: إذا خلط . وقيل : الأمشاج: الحمرة فى البياض والبياض فى الحمرة ، قال القرطبى : وهذا قول يختاره كثير من أهل اللغة . قال الهذلى :

كأن الريش والفوقين منه حلاف النصل نيط به مشيج

وذلك لأن ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فيخلق منهما الولد ، قال ابن السكيت :الأمشاج : الأخلاط؛ لأنها ممتزجة من أنواع يخلق الإنسان منها وطباع مختلفة . وقيل: الأمشاج لفظ مفرد كبرمة أعشار ، ويؤيد هذا وقوعه نعتا لنطفة ، وجملة : ﴿ **نبتليه** ﴾ فى محل نصب على الحال من فاعل خلقنا ، أى مريدين ابتلاءه ، ويجوز أن يكون حالا من الإنسان ، والمعنى : نبتليه بالخير والشر والتكاليف . قال الفراء : معناه والله أعلم : جعلناه سميعا بصيرا نبتليه وهى مقدّمة معناها التأخير ، لأن الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة ، وعلى هذا تكون هذه الحال مقدّرة . وقيل : مقارنة . وقيل : معنى الابتلاء : نقله من حال إلى حال على طريقة الاستعارة ، والأوّل أولى .

ثم ذكر سبحانه أنه أعطاه ما يصحّ معه الابتلاء فقال : ﴿ **إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا** ﴾ أى بيّنا له وعرّفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر كما فى قوله : ﴿ وهديناه النجدين ﴾ [البلد : ١٠] قال مجاهد : أى بينا السبيل إلى الشقاء والسعادة . وقال الضحاك والسدّى وأبو صالح : السبيل هنا خروجه من الرحم. وقيل : منافعه ومضارّه التى يهتدى إليها بطبعه وكمال عقله ، وانتصاب ﴿ **شاكرا** ﴾ و ﴿ **كفورا** ﴾ على الحال من مفعول ﴿**هديناه** ﴾، أى مكناه من سلوك الطريق فى حالتيه جميعا . وقيل : على الحال من سبيل على المجاز ، أى عرّفناه السبيل إما سبيلا شاكرا وإما سبيلا كفورا . وحكى مكىّ عن الكوفيين أن قوله : ﴿ **إما** ﴾ هى إن شرطية زيدت بعدها ما ، أى بينا له الطريق إن شكر وإن كفر . واختار هذا الفراء ، ولا يجيزه البصريون لأن إن الشرطية لا تدخل على الأسماء إلا أن يضمر بعدها فعل ، ولا يصح هنا إضمار الفعل لأنه كان يلزم رفع ﴿**شاكرا**﴾ و﴿**كفورا**﴾ ، ويمكن أن يضمر فعل ينصب شاكرا وكفورا ، وتقديره : إن خلقناه شاكرا فشكور وإن خلقناه كافرا فكفور ، وهذا على قراءة الجمهور: ﴿ **إما شاكرا وإما كفورا** ﴾ بكسر همزة إما .وقرأ أبو السماك وأبو العجاج بفتحها ، وهى على الفتح إما العاطفة فى لغة بعض العرب، أو هى التفصيلية وجوابها مقدّر . وقيل : انتصب ﴿ **شاكرا** ﴾ و ﴿ **كفورا** ﴾ بإضمار كان ، والتقدير : سواء كان شاكرا أو كان كفورا .

ثم بين سبحانه ما أعدّ للكافرين فقال :﴿ **إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا** ﴾ قرأ نافع والكسائى وأبوبكر عن عاصم وهشام عن ابن عامر : « سلاسلا » بالتنوين ، ووقف قنبل عن ابن كثير وحمزة بغير ألف ، والباقون وقفوا بالألف . ووجه من قرأ بالتنوين فى سلاسل مع كون فيه صيغة منتهى الجموع أنه قصد بذلك التناسب لأن ما قبله وهو : ﴿**إما**

شاكرا وإما كفورا ﴾ وما بعده وهو : ﴿ **أغلالا وسعيرا** ﴾ سنوّن، أو على لغة من يصرف جميع ما لا ينصرف كما حكاه الكسائى وغيره من الكوفيين عن بعض العرب . قال الأخفش : سمعنا من العرب من يصرف كل ما لا ينصرف ، لأن الأصل فى الأسماء الصرف وترك الصرف لعارض فيها . قال الفراء : هو على لغة من يجرّ الأسماء كلها إلا قولهم : هو أظرف منك فإنهم لا يجرّونه ، وأنشد ابن الأنبارى فى ذلك قول عمرو بن كلثوم :

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بأيدى لاعبينا

ومن ذلك قول الشاعر :

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصار

بكسر السين من نواكس ، وقول لبيد :

وحسور أستار دعونى لحتفها بمعالق متشابه أعلاقها

وقوله أيضا :

فضلا وذو كرم يعين على الندى سمح لشوب رغائب غنامها

وقيل : إن التنوين لموافقة رسم المصاحف المكية والمدنية والكوفية فإنها فيها بالألف . وقيل: إن هذا التنوين بدل من حرف الإطلاق ، ويجرى الوصل مجرى الوقف ، والسلاسل قد تقدّم تفسيرها ، والخلاف فيها هل هى القيود أو ما يجعل فى الأعناق كما فى قول الشاعر :

. . . . . ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل والأغلال

جمع غلّ تغلّ به الأيدى إلى الأعناق . والسعير : الوقود الشديد ، وقد تقدّم تفسير السعير. ثم ذكر سبحانه ما أعده للشاكرين فقال : ﴿ **إن الأبرار يشربون من كأس** ﴾ الأبرار : أهل الطاعة والإخلاص ، والصدق جمع برّ أو بارّ . قال فى الصحاح : جمع البرّ الأبرار ، وجمع البارّ البررة ، وفلان يبرّ خالقه ويبرره ، أى يطيعه ، وقال الحسن : البر : الذى لا يؤذى الذر وقال قتادة: الأبرار : الذين يؤدون حق الله ويوفون بالنذر ، والكأس فى اللغة : هو الإناء الذى فيه الشراب ، وإذا لم يكن فيه الشراب لم يسمّ كأسا ، ولا وجه لتخصيصه بالزجاجة ، بل يكون من الزجاج . ومن الذهب والفضة والصينى وغير ذلك ، وقد كانت كاسات العرب من أجناس مختلفة ، وقد يطلق الكأس على نفس الخمر . كما فى قول الشاعر :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

﴿ **كان مزاجها كافورا** ﴾ أى يخالطها وتمزج به ، يقال : مزجه يمزجه مزجا ، أى خلطه يخلطه خلطا ، ومنه قول الشاعر :

كأن سبية من بيت رأس كأن مزاجها عسل وماء

ومنه قول عمرو بن كلثوم :

صددت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا

معتقة كأن الخصّ فيها إذا ما الماء خالطها سخينا

ومنه مزاج البدن ، وهو ما يمازجه من الأخلاط ، والكافور قيل : هو اسم عين فى الجنة يقال لها : الكافورى تمزج خمر الجنة بماء هذه العين ، وقال قتادة ومجاهد : تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك ، وقال عكرمة : مزاجها : طعمها. وقيل : إنما الكافور فى ريحها لا فى طعمها . وقيل : إنما أراد الكافور فى بياضه وطيب رائحته وبرده ، لأن الكافور لايشرب كما فى قوله : ﴿ حتى إذا جعله نارا ﴾ [الكهف : ٩٦] أى كنار . وقال ابن كيسان : طيبها المسك والكافور والزنجبيل ، وقال مقاتل : ليس هو كافور الدنيا ، وإنما سمى الله ما عنده بما عندكم حتى تهتدى له القلوب ، والجملة فى محل جرّ صفة لكأس . وقيل : إن كان هنا زائدة، أى من كأس مزاجها كافورا .

﴿ **عينا يشرب بها عباد الله** ﴾ انتصاب ﴿ **عينا**﴾ على أنها بدل من ﴿ **كافورا**﴾ ، لأن ماءها فى بياض الكافور ، وقال مكى : إنها بدل من محل ﴿ **من كأس** ﴾ على حذف مضاف كأنه قيل: يشربون خمرا خمر عين . وقيل : إنها منتصبة على أنها مفعول يشربون ، أى عينا من كأس . وقيل : هى منتصبة على الاختصاص ، قاله الأخفش . وقيل: منتصبة بإضمار فعل يفسره ما بعده ، أى يشربون عينا يشرب بها عباد الله ، والأوّل أولى ، وتكون جملة: ﴿**يشرب بها عباد الله** ﴾ صفة لـ﴿**عينا**﴾. وقيل : إن الباء فى ﴿ **يشرب بها** ﴾ زائدة . وقيل : بمعنى من، قاله الزجاج . ويعضده قراءة ابن أبى عبلة :« يشربها عباد الله» . وقيل : إن يشرب مضمن معنى يلتذّ . وقيل : هى متعلقة بـ﴿**يشرب** ﴾ ، والضمير يعود إلى الكأس ، وقال الفراء : يشربها ويشرب بها سواء فى المعنى، وكأنّ يشرب بها يروى بها وينتفع بها ، وأنشد قول الهذلى:

شربن بماء البحر ثم ترفعت

قال : ومثله تكلم بكلام حسن ، وتكلم كلاما حسنا ﴿ **يفجرونها تفجيرا** ﴾ أى يجرونها إلى حيث يريدون وينتفعون بها كما يشاؤون ، ويتبعهم ماؤها إلى كل مكان يريدون وصوله إليه، فهم يشقونها شقا كما يشقّ النهر ويفجر إلى هنا وهنا . قال مجاهد : يقودونها حيث شاؤوا وتتبعهم حيث مالوا مالت معهم . والجملة صفة أخرى لـ ﴿ **عينا** ﴾ ، وجملة : ﴿**يوفون بالنذر**﴾ مستأنفة مسوقة لبيان ما لأجله رزقوا ما ذكر ، وكذا ما عطف عليها . ومعنى النذر فى اللغة : الإيجاب ، والمعنى : يوفون بما أوجبه الله عليهم من الطاعات ، قال قتادة ومجاهد : يوفون بطاعة الله من الصلاة والحج ونحوهما . وقال عكرمة : يوفون إذا نذروا فى حق الله سبحانه ، والنذر فى الشرع : ما أوجبه المكلف على نفسه ، فالمعنى: يوفون بما أوجبوه

على أنفسهم . قال الفراء : فى الكلام إضمار ، أى كانوا يوفون بالنذر فى الدنيا ، وقال الكلبى: يوفون بالعهد ، أى يتممون العهد ، والأولى حمل النذر هنا على ما أوجبه العبد على نفسه من غير تخصيص ﴿ **ويخافون يوما كان شرّه مستطيرا** ﴾ المراد : يوم القيامة ، ومعنى استطارة شرّه : فشوّه وانتشاره ، يقال : استطار يستطير استطارة فهو مستطير ، وهو استفعل من الطيران ، ومنه قول الأعشى :

فبانت وقد أسأرت فى الفؤا د صدعا على نأيها مستطيرا

والعرب تقول : استطار الصدع فى القارورة والزجاجة : إذا امتدّ ، ويقال : استطار الحريق إذا انتشر ، قال الفرّاء : المستطير : المستطيل ، قال قتادة : استطار شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض . قال مقاتل : كان شره فاشيا فى السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملائكة ، وفى الأرض نسفت الجبال وغارت المياه. ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا** ﴾ أى يطعمون هؤلاء الثلاثة الأصناف الطعام على حبه لديهم وقلته عندهم . قال مجاهد: على قلته وحبهم إياه وشهوتهم له ، فقوله : ﴿ **على حبه** ﴾ فى محل نصب على الحال، أى كائنين على حبه ، ومثله قوله: ﴿ لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [آل عمران: ٩٢] وقيل : على حب الإطعام برغبتهم فى الخير ، قال الفضيل بن عياض : على حب إطعام الطعام . وقيل : الضمير فى حبه يرجع إلى الله ، أى يطعمون الطعام على حبّ الله ، أى يطعمون إطعاما كائنا على حب الله ، ويؤيد هذا قوله : ﴿ **إنما نطعمكم لوجه الله** ﴾ والمسكين : ذو المسكنة ، وهو الفقير ، أو من هو أفقر من الفقير ، والمراد باليتيم : يتامى المسلمين ، والأسير الذى يؤسر فيحبس . قال قتادة ومجاهد : الأسير : المحبوس . وقال عكرمة : الأسير : العبد. وقال أبو حمزة الثمالى : الأسير : المرأة . قال سعيد بن جبير : نسخ هذا الإطعام آية الصدقات وآية السيف فى حق الأسير الكافر ، وقال غيره : بل هى محكمة ، وإطعام المسكين واليتيم على التطوّع ، وإطعام الأسير لحفظ نفسه إلى أن يتخير فيه الإمام .

وجملة : ﴿ **إنما نطعمكم لوجه الله** ﴾ فى محل نصب على الحال بتقدير القول ، أى يقولون : إنما نطعمكم، أو قائلين إنما نطعمكم ، يعنى : أنهم لا يتوقعون المكافأة ولا يريدون ثناء الناس عليهم بذلك ، قال الواحدى : قال المفسرون : لم يتكلموا بهذا ولكن علمه الله من قلوبهم فأثنى عليهم وعلم من ثنائه أنهم فعلوا ذلك خوفا من الله ورجاء ثوابه ﴿ **لا نريد منكم جزاء ولا شكورا** ﴾ أى لا نطلب منكم المجازاة على هذا الإطعام ولا نريد منكم الشكر لنا ، بل هو خالص لوجه الله ، وهذه الجملة مقررّة لما قبلها ، لأن من أطعم لوجه الله لا يريد المكافأة ولا يطلب الشكر له ممن أطعمه . ﴿ **إنا نخاف من ربنا يومًا عبوسًا قمطريرا** ﴾ أى نخاف عذاب يوم متصف بهاتين الصفتين ، ومعنى ﴿ **عبوسا** ﴾ : أنه يوم تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته، فالمعنى : أنه ذو عبوس . قال الفراء وأبو عبيدة والمبرد : يوم قمطرير وقماطر: إذا كان

صعبا شديدا ، وأنشد الفراء :

بنى عمنا هل تذكرون بــلاءنا عليكم إذا ما كان يوم قماطر

قال الأخفش : القمطرير : أشد ما يكون من الأيام وأطوله فى البلاء ، ومنه قول الشاعر :

فـفروا إذا مـا الحـرب ثارغبارها ولـج بها اليوم العبوس القماطر

قال الكسائى : اقمطر اليوم وازمهر : إذا كان صعبا شديدا ، ومنه قول الشاعر :

بنـو الحرب أوصينا لهـم بقمطرة ومن يلق منا ذلك اليوم يهرب

وقال مجاهد : إن العبوس بالشفتين ، والقمطير بالجبهة والحاجبين ، فجعلهما من صفات المتغير فى ذلك اليوم لما يراه من الشدائد ، وأنشد ابن الأعرابى :

يقــدر عــلى الصيد بعود منكسر ويقمطر ساعـة ويـكـفهـر

قال أبو عبيدة : يقال : قمطرير ، أى منقبض ما بين العينين والحاجبين ، قال الزجاج : يقال : اقمطرت الناقة إذا رفعت ذنبها وجمعت قطربها ، ورمت بأنفها ما يسبقها من القطر ، وجعل الميم مزيدة . ﴿ **فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم** ﴾ أى دفع عنهم شرّه بسبب خوفهم منه وإطعامهم لوجهه ﴿ **ولقاهم نـضرة وسرورا** ﴾ أى أعطاهم بدل العبوس فى الكفار نضرة فى الوجوه وسرورا فى القلوب . قال الضحاك : والنضرة : البياض والنقاء فى وجوههم . وقال سعيد بن جبير : الحسن والبهاء . وقيـل : النـضرة : أثر النعـمة . ﴿ **وجزاهم بما صبروا** ﴾ أى بسبب صبرهم على التكاليف . وقيل : على الفقر . وقيل : على الجوع . وقيل : على الصوم، والأولى حمل الآية على الصبر على كل شىء يكون الصبر عليه طاعة لله سبحانه ، «وما » مصدرية ، والتقدير : بصبرهم ﴿ **جنة وحريرا** ﴾ أى أدخلهم الجنة وألبسهم الحرير ، وهو لباس أهل الجنة عوضا عن تركه فى الدنيا امتثالا لما ورد فى الشرع من تحريمه ، وظاهر هذه الآيات العموم فى كلّ من خاف من يوم القيامة وأطعم لوجه الله وخاف من عذابه ، والسبب وإن كان خاصا كما سيأتى فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ويدخل سبب التنزيل تحت عمومها دخولا أوليا .

وقد أخرج ابن المنذر عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **هل أتى على الإنسان** ﴾ قال : كل إنسان. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ **أمشاج** ﴾ قال : أمشاجها عروقها . وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى حاتم : ﴿**أمشاج** ﴾ قال : العـروق . وأخرج عبد بـن حميد وابن أبى حاتم عن ابن عباس : ﴿ **من نطفة أمشاج** ﴾ قال : ماء الرجل وماء المرأة يختلطان . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عنه قال : ﴿ **أمشاج** ﴾ ألوان : نطفة الرجل بيضاء وحمراء ، ونطفة المرأة خضراء وحمراء . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضا قال : الأمشاج : الذى يخرج على أثر البـول كـقطع الأوتار ومـنه يـكون الولد . وأخـرج ابن المنذر

وابن أبى حاتم عنه أيضا ﴿ **كان شرّه مستطيرا** ﴾ قال : فاشيا . وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر عنه أيضا فى قوله : ﴿ **وأسيرا** ﴾ قال : هوالمشرك .

وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ فى قوله : ﴿**مسكينا** ﴾ قال : «فقيرا» ﴿**ويتيما** ﴾ قال : « لا أب له » ﴿ **وأسيرا** ﴾ قال : « المملوك والمسجون » (١) . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس فى قوله: ﴿ **ويطعمون الطعام** ﴾ الآية قال: نزلت هذه الآية فى علىّ بن أبى طالب وفاطمة بنت رسول الله ﷺ . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عنه فى قوله : ﴿ **يوما عبوسا** ﴾ قال : ضيقا ﴿ **قمطريرا** ﴾ قال : طويلا . وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك عن النبىّ ﷺ فى قوله : ﴿ **يوما عبوسا قمطريرا** ﴾ قال: « يقبض ما بين الأبصار » . ما بين عينيه ووجهه . وأخرج ابن المنذر عنه : ﴿ **ولقاهم نضرة وسرورا** ﴾ قال : نضرة فى وجوههم وسرورا فى صدورهم .

﴿ **مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ (١٥) قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (٢٢)** ﴾

قوله : ﴿ **متكئين فيها على الأرائك** ﴾ منصوب على الحال من مفعول جزاهم ، والعامل فيها جزى ، ولا يعمل فيها صبروا ، لأن الصبر إنما كان فى الدنيا ، وجوّز أبو البقاء أن يكون صفة لجنة . قال الفرّاء : وإن شئت جعلت ﴿**متكئين**﴾ تابعا، كأنه قال : جزاهم جنة متكئين فيها . وقال الأخفش : يجوز أن يكون منصوبا على المدح والضمير من ﴿ **فيها** ﴾ يعود إلى الجنة، والأرائك : السرر فى الحجال ، وقد تقدم تفسيرها فى سورة الكهف ﴿**لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا**﴾ الجملة فى محل نصب على الحال من مفعول جزاهم ، فتكون من الحال المترادفة، أو من الضمير فى متكئين ، فتكون من الحال المتداخلة، أو صفة أخرى لجنة ، والزمهرير: أشدّ البرد ، والمعنى : أنهم لا يرون فى الجنة حرّ الشمس ولا يرد الزمهرير ، ومنه قول الأعشى :

منعمة طفلة كالمها لم تر شمسا ولا زمهريرا

وقال ثعلب : الزمهرير : القمر بلغة طيىء ، وأنشد لشاعرهم :

---

(١) أبو نعيم ٥/ ١٠٥ وقال : « غريب من حديث عمرو تفرد به عباد عن عمه » .

وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتـــها والزمهرير ما زهر

ويروى : ماظهر ، أى لم يطلع القمر ، وقد تقدّم تفسير هذا فى سورة مريم . ﴿ **ودانية عليهم ظلالها** ﴾ قرأ الجمهور: ﴿ **دانية** ﴾ بالنصب عطفا على محل لا يرون ، أو على متكئين ، أو صفة لمحذوف ، أى وجنة دانية ، كأنه قال : وجزاهم جنة دانية . وقال الزجاج : هو صفة لجنة المتقدم ذكرها . وقال الفراء : هو منصوب على المدح ، وقرأ أبو حيوة : « ودانية» بالرفع على أنه خبر مقدم وظلالها مبتدأ مؤخر والجملة فى موضع النصب على الحال ، والمعنى : أن ظلال الأشجار قريبة منهم مظللة عليهم زيادة فى نعيمهم وإن كان لا شمس هنالك ، قال مقاتل: يعنى : شجرها قريب منهم ، وقرأ ابن مسعود: « ودانيا عليهم » . ﴿ **وذللت قطوفها تذليلا** ﴾ معطوف على دانية كأنه قال : ومذللة ، ويجوز أن تكون الجملة فى محل نصب على الحال من الضمير فى ﴿ **عليهم** ﴾ ويجوز أن تكون مستأنفة ، والقطوف الثمار ، والمعنى : أنها سخرت ثمارها لمتناوليها تسخيرا كثيرا بحيث يتناولها القائم والقاعد والمضطجع لا يردّ أيديهم عنها بعد ولا شوك ، قال النحاس : المذلل القريب والمتناول ، ومنه قولهم : حائط ذليل ، أى قصير . قال ابن قتيبة :ذللت : أدنيت ، من قولهم : حائط ذليل ، أى كان قصير السمك ، وقيل : ذللت ، أى جعلت منقادة لا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا . ﴿ **ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب** ﴾ أى تدور عليهم الخدم إذا أرادوا الشرب بآنية الفضة ، والأكواب جمع كوب ، وهو الكوز العظيم الذى لا أذن له ولا عروة ، ومنه قول عدىّ :

متكئ تقرع أبوابه يسعى عليه العبد بالكوب

وقد مضى تفسيره فى سورة الزخرف ﴿ **كانت قواريراً .قواريراً من فضة** ﴾ أى فى وصف القوارير فى الصفاء وفى بياض الفضة ، فصفاؤها صفاء الزجاج ، ولونها لون الفضة ، قرأ نافع والكسائى وأبو بكر : ﴿**قواريرا . قواريرا**﴾ بالتنوين فيهما مع الوصل ، وبالوقف عليهما بالألف، وقد تقدّم وجه هذه القراءة فى تفسير قوله : ﴿ **سلاسلا** ﴾ من هذه السورة ، وبينا هنالك وجه صرف ما فيه صيغة منتهى الجموع فارجع إليه ، وقرأ حمزة بعدم التنوين فيهما وعدم الوقف بالألف ، ووجه هذه القراءة ظاهر لأنهما ممتنعان لصيغة منتهى الجموع ، وقرأ هشام بعدم التنوين فيهما مع الوقف عليهما بالألف ، وقرأ ابن كثير بتنوين الأوّل دون الثانى والوقف على الأوّل بالألف دون الثانى ، وقرأ أبو عمرو وحفص وابن ذكوان بعدم التنوين فيهما ، والوقف على الأوّل بالألف دون الثانى ، والجملة فى محل جرّ صفة لأكواب . قال أبو البقاء : وحسن التكرير لما اتصل به من بيان أصلها . قال الواحدى : قال المفسرون : جعل الله قوارير أهل الجنة من فضة ، فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير . قال الزجاج : القوارير التى فى الدنيا من الرمل ، فأعلم الله فضل تلك القوارير أن أصلها من فضة يرى من خارجها ما فى داخلها ، وجملة : ﴿ **قدّروها تقديرا** ﴾ صفة لقوارير . قرأ الجمهور : ﴿**قدّروها**﴾ بفتح القاف على البناء للفاعل ، أى قدّرها السقاة من الخدم الذين يطوفون عليهم

على قدر ما يحتاج إليه الشاربون من أهل الجنة من دون زيادة ولا نقصان ، قال مجاهد وغيره ، أتوا بها على قدر ريهم بغير زيادة ولا نقصان . قال الكلبى : وذلك ألذّ وأشهى . وقيل : قدرّها الملائكة . وقيل : قدرها أهل الجنة الشاربون على مقدار شهواتهم وحاجتهم فجاءت كما يريدون فى الشكل لا تزيد ولا تنقص ، وقرأ علىّ وابن عباس والسلمىُ والشعبى وزيد بن علىّ وعبيد بن عمير وأبو عمرو فى رواية عنه : « قدروها » بضم القاف وكسر الدال مبنيا للمفعول ، أى جعلت لهم على قدر إرادتهم، قال أبو على الفارسى هو من باب القلب ، قال : لأن حقيقة المعنى أن يقال : قدرّت عليهم لا قدّروها ، لأنه فى معنى : قدروا عليها . وقال أبو حاتم : التقدير : قدرّت الأوانى على قدر ريهم ، فمفعول ما لم يسمّ فاعله محذوف . قال أبو حيان : والأقرب فى تخريج هذه القراءة الشاذة أن يقال : قدّر ريهم منها تقديرا ، فحذف المضاف فصار قدّروها ، وقال المهدوى : إن القراءة الأخيرة يرجع معناها إلى معنى القراءة الأولى ، وكأن الأصل قدرّوا عليها فحذف حرف الجرّ كما أنشد سيبويه :

آليت حبّ العراق الدهر آكله والحب يأكله فى القرية السوس

أى آليت على حبّ العراق . ﴿ **ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا** ﴾ قد تقدّم أن الكأس هو الإناء فيه الخمر ، وإذا كان خاليا عن الخمر فلا يقال له كأس ، والمعنى : أن أهل الجنة يسقون فى الجنة كأسا من الخمر ممزوجة بالزنجبيل ، وقد كانت العرب تستلذ مزج الشراب بالزنجبيل لطيب رائحته ، وقال مجاهد وقتادة : الزنجبيل: اسم للعين التى يشرب بها المقرّبون . وقال مقاتل : هو زنجبيل لا يشبه زنجبيل الدنيا . ﴿ **عينا فيها تسمى سلسبيلا** ﴾ انتصاب ﴿ **عينا**﴾ على أنها بدل من ﴿كأسًا ﴾، ويجوز أن تكون منصوبة بفعل مقدر ، أى يسقون عينا، ويجوز أن تكون منصوبة بنزع الخافض ، أى من عين ، والسلسبيل : الشراب اللذيذ ، مأخوذ من السلاسة، تقول العرب : هذا شراب سلس وسلسال وسلسبيل ، أى طيب لذيذ . قال الزجاج: السلسبيل فى اللغة : اسم لماء فى غاية السلاسة حديد الجرية يسوغ فى حلوقهم ، ومنه قول حسان بن ثابت :

يسقون من ورد البريص عليهم كأسا يصفق بالرحيق السلسل

﴿ **ويطوف عليهم ولدان مخلدون** ﴾ لما فرغ سبحانه من وصف شرابهم ، ووصف آنيتهم، ووصف السقاة الذين يسقونهم ذلك الشراب ، ومعنى ﴿ **مخلدون** ﴾ : باقون على ماهم عليه من الشباب والطراوة والنضارة ، لا يهرمون ولا يتغيرون . وقيل : معنى ﴿**مخلدون**﴾ : لا يموتون . وقيل : التخليد : التحلية ، أى محلون . ﴿ **إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا** ﴾: إذا نظرت إليهم ظننتهم لمزيد حسنهم وصفاء ألوانهم ونضارة وجوههم لؤلؤا مفرّقا . قال عطاء : يريد فى بياض اللون وحسنه ، واللؤلؤ إذا نثر من الخيط على البساط كان أحسن منه منظوما . قال أهل المعانى . إنما شبهوا بالمنثور لانتثارهم فى الخدمة ، ولو كانوا

صفا لشبهوا بالمنظوم . وقيل : إنما شبههم بالمنثور لأنهم سراع فى الخدمة ، بخلاف الحور العين فإنه شبههنّ باللؤلؤ المكنون لأنهن لا يمتهنّ بالخدمة . ﴿ **وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيما وملكا كبيرا** ﴾ أى وإذا رميت ببصرك هناك ، يعنى : فى الجنة رأيت نعيما لا يوصف ، وملكا كبيرا لا يقادر قدره . و« ثم » ظرف مكان ، والعامل فيها رأيت . قال الفراء : فى الكلام « ما » مضمرة ، أى وإذا رأيت ما ثمَّ ، كقوله : ﴿ لقد تقطع بينكم ﴾ [الأنعام : ٩٤] أى ما بينكم ، قال الزجاج معترضا على الفراء : إنه لا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة ، ولكن رأيت يتعدّى فى المعنى إلى ثم . والمعنى : إذا رأيت ببصرك ثم ، ويعنى بثمّ : الجنة . قال السدّى : النعيم : ما يتنعم به ، والملك الكبير : استئذان الملائكة عليهم ، وكذا قال مقاتل والكلبى . وقيل : إن رأيت ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدّر ، ولا منوىّ ، بل معناه : أن بصرك أينما وقع فى الجنة رأيت نعيما وملكا كبيرا .

﴿ **عاليهم ثياب سندس** ﴾ قرأ نافع وحمزة وابن محيصن : « عاليهم » بسكون الياء وكسر الهاء على أنه خبر مقدّم ، وثياب مبتدأ مؤخر ، أو على أن عاليهم مبتدأ ، وثياب مرتفع بالفاعلية وإن لم يعتمد الوصف كما هو مذهب الأخفش . وقال الفراء : هو مرفوع بالابتداء ، وخبره : ثياب سندس ، واسم الفاعل مراد به الجمع ، وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الهاء على أنه ظرف فى محلّ رفع على أنه خبر مقدّم ، وثياب مبتدأ مؤخر ، كأنه قيل : فوقهم ثياب ، قال الفرّاء : إن عاليهم بمعنى : فوقهم ، وكذا قال ابن عطية . قال أبو حيان : عال وعالية اسم فاعل، فيحتاج فى كونهما ظرفين إلى أن يكون منقولا من كلام العرب ، وقد تقدمه إلى هذا الزجاج وقال : هذا مما لا نعرفه فى الظروف ولو كان ظرفًا لم يجز إسكان الياء، ولكنه نصب على الحال من شيئين : أحدهما : الهاء والميم فى قوله : ﴿ **يطوف عليهم** ﴾ أى على الأبرار ﴿**ولدان** ﴾ عاليا الأبرار ﴿ **ثياب سندس** ﴾ أى يطوف عليهم فى هذه الحال . والثانى : أن يكون حالا من الولدان ، أى إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا فى حال علو الثياب أبدانهم. وقال أبو علىّ الفارسى : العامل فى الحال إما لقاهم نضرة وسرورا ، وإما جزاهم بما صبروا . قال : ويجوز أن يكون ظرفا ، وقرأ ابن سيرين ومجاهد وأبو حيوة وابن أبى عبلة :« عليهم » ، وهى قراءة واضحة المعنى ظاهرة الدلالة ، واختار أبو عبيد القراءة الأولى لقراءة ابن مسعود : «عاليتهم» ، وقرأ الجمهور بإضافة ثياب إلى سندس ، وقرأ أبو حيوة وابن أبى عبلة بتنوين ثياب وقطعها عن الإضافة ورفع سندس و خضر وإستبرق على أن السندس نعت للثياب ، لأن السندس نوع من الثياب ، وعلى أن ﴿ **خضر** ﴾ نعت لسندس ، لأنه يكون أخضر وغير أخضر، وعلى أن إستبرق معطوف على سندس ، أى وثياب إستبرق ، والجمهور من القراء اختلفوا فى خضر وإستبرق مع اتفاقهم على جرّ سندس بإضافة ثياب إليه ، فقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم وابن محيصن بجرّ خضر نعتا لسندس ورفع إستبرق عطفا على ثياب ، أى عليهم ثياب سندس وعليهم إستبرق . وقرأ أبو عمرو وابن عامر برفع خضر نعتا لثياب ، وجرّ

إستبرق نعتا لسندس ، واختار هذه القراءة أبو حاتم وأبو عبيد ؛ لأن الخضر أحسن ما كانت نعتا للثياب فهى مرفوعة ، والإستبرق من جنس السندس ، وقرأ نافع وحفص برفع : ﴿ **خضر وإستبرق** ﴾ لأن ﴿ **خضر** ﴾ نعت للثياب ، وإستبرق عطف على الثياب ، وقرأ الأعمش وحمزة والكسائى بجرّ خضر وإستبرق على أن ﴿ **خضر** ﴾ نعت للسندس ، وإستبرق معطوف على سندس ، وقرؤوا كلهم بصرف إستبرق إلا ابن محيصن فإنه لم يصرفه ، قال : لأنه أعجمى ، ولا وجه لهذا لأنه نكرة إلا أن يقول إنه علم لهذا الجنس من الثياب ، والسندس : ما رق من الديباج . والإستبرق : ما غلظ منه ، وقد تقدّم تفسيرهما فى سورة الكهف .

﴿ **وحلوا أساور من فضة** ﴾ عطف على ﴿**يطوف عليهم** ﴾. ذكر سبحانه هنا أنهم يحلون بأساور الفضة وفى سورة فاطر : ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ﴾ [فاطر : ٢٣] وفى سورة الحج : ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا﴾ [الحج : ٢٣] ولا تعارض بين هذه الآيات لإمكان الجمع بأن يجعل لهم سوارات من ذهب وفضة ولؤلؤ ، أو بأن المراد أنهم يلبسون سوارات الذهب تارة ، وسوارات الفضة تارة ، وسوارات اللؤلؤ تارة ، أو أنه يلبس كل أحد منه ما تميل إليه نفسه من ذلك ، ويجوز أن تكون هذه الجملة فى محلّ نصب على الحال من ضمير عاليهم بتقدير قد ﴿ **وسقاهم ربهم شرابا طهورا** ﴾ هذا نوع آخر من الشراب الذى يمنّ الله عليهم به ، قال الفرّاء : يقول : هو طهور ليس بنجس كما كان فى الدنيا موصوفا بالنجاسة ، والمعنى: أن ذلك الشراب طاهر ليس كخمر الدنيا . قال مقاتل : هو عين ماء على باب الجنة من شرب منها نزع الله ما كان فى قلبه من غشّ وغلّ وحسد ، قال أبو قلابة وإبراهيم النخعى : يؤتون بالطعام ، فإذا كان آخره أتوا بالشراب الطهور ، فيشربون فتضمر بطونهم من ذلك ويفيض عرق من أبدانهم مثل ريح المسك . ﴿ **إن هذا كان لكم جزاء** ﴾ أى يقال لهم : إن هذا الذى ذكر من أنواع النعم كان لكم جزاء بأعمالكم ، أى ثوابا لها ﴿ **وكان سعيكم مشكورا** ﴾ أى كان عملكم فى الدنيا بطاعة الله مرضيا مقبولا ، وشكر الله سبحانه لعمل عبده هو قبول لطاعته .

وقد أخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم عن ابن مسعود قال : الزمهرير : هو البرد الشديد. وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «اشتكت النار إلى ربها فقالت : رب ، أكل بعضى بعضا ، فجعل لها نفسين : نفسا فى الصيف، ونفسا فى الشتاء ، فشدّة ما تجدون من البرد من زمهريرها ، وشدة ما تجدون فى الصيف من الحر من سمومها »[1] . وأخرج الفريابى وسعيد بن منصور وابن أبى شيبة وهناد ابن السرىّ وعبد بن حميد ، وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد ، وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى البعث عن البراء بن عازب فى

---

(١) البخارى فى بدء الخلق (٣٢٦٠) ومسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (٦١٧/ ١٨٥) والترمذى فى صفة جهنم (٢٥٩٢) وقال : « هذا حديث صحيح » وابن ماجة فى الزهد (٤٣١٩) .

قوله : ﴿ **ودانية عليهم ظلالها** ﴾ قال : قريبة ﴿ **وذللت قطوفها تذليلا** ﴾ قال : إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياما وقعودا ومضطجعين وعلى أىّ حال شاؤوا . وفى لفظ قال : ذللت فيتناولون منها كيف شاؤوا .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر ، والبيهقى فى البعث عن ابن عباس قال : ﴿ **آنية من فضة** ﴾ وصفاؤها كصفاء القوارير ﴿ **قدروها تقديرا** ﴾ قال : قدرت للكف . وأخرج عبد الرزاق وسعيد ابن منصور والبيهقى عنه قال : لو أخذت فضة من فضة الدنيا فضربتها حتى جعلتها مثل جناح الذباب لم ير الماء من ورائها ، ولكن قوارير الجنة ببياض الفضة فى صفاء القوارير . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضاً قال : ليس فى الجنة شىء إلا وقد أعطيتم فى الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة . وأخرج الفريابى عنه أيضا فى قوله : ﴿ **قدروها تقديرا** ﴾ قال : أتوا بها على قدر الفم لا يفضلون شيئا ولا يشتهون بعدها شيئا . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عنه أيضا : ﴿**قدّروها تقديرا** ﴾ قال : قدّرتها السقاة . وأخرج ابن المبارك وهناد وعبد بن حميد ، والبيهقى فى البعث ، عن ابن عمرو قال : إن أدنى أهل الجنة منزلا من يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه . وتلا هذه الآية : ﴿ **إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا** ﴾ .

﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً (٢٤) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (٢٦) إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً (٢٧) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً (٢٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (٣٠) يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً (٣١)** ﴾

قوله : ﴿ **إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا** ﴾ أى فرّقناه فى الإنزال ولم ننزله جملة واحدة . وقيل : المعنى : نزلناه عليك ولم تأت به من عندك كما يدّعيه المشركون . ﴿ **فاصبر لحكم ربك** ﴾ أى لقضائه ، ومن حكمه وقضائه تأخير نصرك إلى أجل اقتضته حكمته ، قيل : وهذا منسوخ بآية السيف ﴿ **ولا تطع منهم** (١) **آثما أو كفورا**﴾ أى لا تطع كل واحد من مرتكب لإثم وغال فى كفر ، فنهاه الله سبحانه عن ذلك . قال الزجاج إن الألف هنا آكد من الواو وحدها لأنك إذا قلت : لا تطع زيدا وعمرا فأطاع أحدهما كان غير عاص ، لأنه أمره لا يطيع الاثنين ، فإذا قال : لا تطع منهم آثما أو كفورا ، دلّ ذلك على أن كل واحد منهما أهل أن يعصى ، كما أنك إذا قلت : لا تخالف الحسن أو ابن سيرين ، فقد قلت : إنهما أهل أن

(١) فى المطبوعة : « منها » وهو خطأ .

يتبعا ، وكل واحد منهما أهل أن يتبع ، وقال الفرّاء : « أو » هنا بمنزلة لا ، كأنه قال : ولا كفورا . وقيل : المراد بقوله : ﴿ **آثما** ﴾ عتبة بن ربيعة ، وبقوله: ﴿**أو كفورا** ﴾ الوليد بن المغيرة، لأنهما قالا للنبيّ ﷺ : ارجع عن هذا الأمر ونحن نرضيك بالمال والتزويج . ﴿**واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا** ﴾ أى دم على ذكره فى جميع الأوقات . وقيل : المعنى : صلّ لربك أول النهار وآخره ، فأوّل النهارصلاة الصبح ، وآخره صلاة العصر . ﴿ **ومن الليل فاسجد له** ﴾ أى صلّ المغرب والعشاء . وقيل : المراد الصلاة فى بعضه من غير تعيين ، و « من » للتبعيض على كل تقدير ﴿ **وسبحه ليلا طويلا** ﴾ أى نزهه عما لا يليق به ، فيكون المراد الذكر بالتسبيح سواء كان فى الصلاة أو فى غيرها . وقيل : المراد التطوّع فى الليل ، قال ابن زيد وغيره :إن هذه الآية منسوخة بالصلوات الخمس . وقيل : الأمر الندب . وقيل : هو مخصوص بالنبيّ ﷺ .

﴿ **إنّ هؤلاء يحبون العاجلة** ﴾ يعنى : كفار مكة ومن هو موافق لهم ، والمعنى : أنهم يحبون الدار العاجلة ، وهى دار الدنيا ، ﴿ **ويذرون وراءهم يوما ثقيلا** ﴾ أى يتركون ويدعون وراءهم ، أى خلفهم أو بين أيديهم وأمامهم يوما شديدا عسيرا ، وهو يوم القيامة ، وسمى ثقيلا لما فيه من الشدائد والأهوال ومعنى كونه يذرونه وراءهم : أنهم لا يستعدّون له ، ولا يعبؤون به، فهم كمن ينبذ الشىء وراء ظهره تهاونا به واستخفافا بشأنه ، وإن كانوا فى الحقيقة مستقبلين له وهو أمامهم . ﴿ **نحن خلقناهم** ﴾ أى ابتدأنا خلقهم من تراب ، ثم من نطفة ثم من علقة ، ثم من مضغة إلى أن كمل خلقهم ، ولم يكن لغيرنا فى ذلك عمل ولا سعى لا اشتراكا ولا استقلالا ﴿ **وشددنا أسرهم** ﴾ الأسر : شدّة الخلق ، يقال : شدّ الله أسر فلان ، أى قوى خلقه، قال مجاهد وقتادة ومقاتل وغيرهم : شددنا خلقهم . قال الحسن : شددنا أوصالهم بعضا إلى بعض بالعروق والعصب . قال أبو عبيد : يقال : فرس شديد الأسر ، أى الخلق . قال لبيد:

ساهم الوجه شديد أسره مشرف الحارك محبوك القتد

وقال الأخطل :

من كل مجتنب شديد أسره سلس القياد تخاله مختالا

وقال ابن زيد : الأسر : القوة ، واشتقاقه من الإسار ، وهو القدّ الذى تشد به الأقتاب ، ومنه قول ابن أحمر يصف فرسا :

يمشى بأوطفة شداد أسرها شمّ السبائك لا تفى بالجدجد

﴿ **وإذا شئنا بدّلنا أمثالهم تبديلا** ﴾ أى لو شئنا لأهلكناهم وجئنا بأطوع لله منهم . وقيل : المعنى: مسخناهم إلى أسمج صورة ، وأقبح خلقة . ﴿ **إنّ هذه تذكرة** ﴾ يعنى : أن هذه

السورة تذكير وموعظة ﴿ **فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا** ﴾ أى طريقا يتوسل به إليه ، وذلك بالإيمان والطاعة ، والمراد إلى ثوابه أو إلى جنته . ﴿**وما تشاؤون إلا أن يشاء الله**﴾ أى وما تشاؤون أن تتخذوا إلى الله سبيلا إلا أن يشاء الله ، فالأمر إليه سبحانه ليس إليهم ، والخير والشرّ بيده ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منع ، فمشيئة العبد مجردة لا تأتى بخير ، ولا تدفع شرّا ، وإن كان يثاب على المشيئة الصالحة، ويوجر على قصد الخير كما فى حديث : « إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى » [1] قال الزجاج : أى لستم تشاؤون إلا بمشيئة الله ﴿**إن الله كان عليما حكيما** ﴾ فى أمره ونهيه ، أى بليغ العلم والحكمة . ﴿ **يدخل من يشاء فى رحمته** ﴾ أى يدخل فى رحمته من يشاء أن يدخله فيها ، أو يدخل فى جنته من يشاء من عباده. قال عطاء : من صدقت نيته أدخله جنته ﴿ **والظالمين أعدّ لهم عذابا أليما**﴾ انتصاب الظالمين بفعل مقدّر يدل عليه ما قبله ، أى يعذب الظالمين ، نصب الظالمين لأن ما قبله منصوب أى : يدخل من يشاء فى رحمته ، ويعذب الظالمين ، أى المشركين ، ويكون أعدّ لهم تفسيرا لهذا المضمر، والاختيار النصب وإن جاز الرفع ، وبالنصب قرأ الجمهور ، وقرأ أبان بن عثمان بالرفع على الابتداء ، ووجهه أنه لم يكن بعده فعل يقع عليه .

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس : ﴿ **وشددنا أسرهم** ﴾ قال : خلقهم . وأخرج ابن جرير عن أبى هريرة: ﴿**وشددنا أسرهم** ﴾ قال : هى المفاصل .

---

(١) البخارى فى بدء الوحى (١) ومسلم فى الإمارة (١٩٠٧/ ١٥٥) .